عن الطوق وفي تسجيل نجاحات على هذا الطريق ، فلن تكون النتيجة فقط خروج مصر نهائيا من منطقة النفوذ الاميركي بل خروج الوطن العربي كله بالتدريج ، وقلب ميزان القوى نهائيا في المنطقة ، بما في ذلك اعادة النظر جديا في الوجود الاسرائيلي برمته .

ولم يكن صدفة في تلك الأيام (منتصف الستينات) أن تتحرك الشراسة الاستعمارية الاميركية ، فشهد العالم الثالث سلسلة من الانقلابات في أهم مواقع حركات التحرر الوطني فيه مثل غانا واندونيسيا والكونغو ، كما بدأ التورط الاميركي في فيتنام الجنوبية يتخذ حجما متناميا .

واذا كانت حرب ١٩٦٧ تتويجا لهذه الهجمة الاميركية في العالم الثالث ، فقد انقسمت الآراء حول استخلاص العبرة السياسية من هذه النكسة :

ـ الأنظمة والتيارات الرجعية التي كانت تنتظر دورها في السقوط امام الموجة التحررية العارمة المعتمدة على منطق منازلة النفوذ الاستعماري وتأليب الامكانات العربية ضده ، أرادت أن تعتبر النكسة دليل فشل نهائي لهذا الخط ، وضرورة اعادة الاعتبار لمنطقها السياسي .

ـ الأنظمة والتيارات الوطنية ادركت ان اختلال الميزان بين امكانات التحدي وبين حجم التحدي هو المسؤول عن التراجعات ، وليس قرار قبول التحدي بحد ذاته . من هنا انطلقت في مصر بالذات ـ مركز الثقل العربي ـ عملية اعادة بناء القوات المسلحة على أسس عصرية جدية ، مع التشدد ازاء كل عمليات التسيب والتراخي والترهل التي رافقت المراحل السابقة لبناء القوات المسلحة المصرية ، والتي ظهرت آثارها بشكل فاضح ومخز ليس في هزيمة ١٩٦٧ فقط ، بل في حجم هذه الهزيمة ، والسهولة الفظيعة التي تمت بها .

واذا كان الجيش المصري قد انجز في عام ١٩٧٣ عملا عسكريا فذا بعمليتي عبور قناة السويس واقتحام وتدمير خط بارليف الدفاعي العصري الالكتروني ، فقد كان واضحا أن هذا العمل هو ثمرة منطق قبول التحدي ، والارتفاع بالامكانات العربية الى مستواه ، ولم يكن هذا العمل ابدا ـ كما حاول الكثير من الساسة العرب بعد ذلك تفسيره ـ ثمرة منطق التفاهم مع الاستعمار والاقرار بعدم القدرة العربية على تحدي الولايات المتحدة .

فتح الملفات الاستعمارية القديمة

عندما ولدت فكرة الوعد الأوروبي لليهود بوطن قومي في فلسطين ، كان هناك بين الساسة الأوروبيين ـ كما ذكرنا ـ تياران ، أحدهما يدعو الى التنبه لردود الفعل العربية ، والآخر يدعو لعدم الاكتراث بها .

وعندما كان أحد كبار الصحفيين المصريين يحاور السياسي الفرنسي البارز كوف دي مورفيل حول رأيه في الحلول الممكنة لأزمة الشرق الاوسط (كان ذلك عام ١٩٧١) قال دي مورفيل أن العرب اذا لم يسخنوا قضيتهم ويفرضوا موقفهم على ساحة المعركة ، فان أيا من القوى الكبرى لن يتحرك للمساهمة في ايجاد حل .

وعندما انطلق الرئيس السادات في أكثر من خطاب يحاول تبرير موقف التصالح مع الولايات المتحدة في ذروة انكشاف موقفها العدائي تجاه العرب ، استشهد بحوار